

تظلم هو باقته بذوق فائق وزين بها شعرها . وحين زينت بباقتها صدره! المضطرب . وحين افادت من تلك السكرة اللذيذة فوجدت نفسها بين ذراعيه بالقرب من بقعة البنفسج . هناك تم اعظم سر في حياتها . تبادلتم مع حببيها الوعد ان تكون له ويكون لها الى الابد . السنوات التي مرت بعد ذلك لم تزده سوى جمال ولطف ولم تزدها سوى شغف به . تذكرت تلك الليلة التي عقدت فيها خطبتهما عقداً كنائسياً وكيف اخذت بعد ذلك تستعد للعرس . وماذا جرى بعد ذلك ؟ هل حسدتها السماء والارض على سعادتها فتحالفتا ضدها ؟ حرب وفناء وخوف وجوع وموت — هل قضت على سعادتها كذلك ؟ — كلا . هذه غيوم وقتية . ستعود الشمس فشرق . سيعود فوءاد من بيروت . سيأتيهم بحنطة وطحين وزيت . وهناك تنتهي الحرب . فكيف يجسر هذا البهيم الواقف الان امامها ان يطلب منها ما تصونه من زمان لفوءادها ؟ كيف يجسر ان يدنس طهارة حبا بلسانه القدر ؟ — كلا . كلا والف كلا ! سترفسه بطرف رجلها الحافية وتنفل في وجهه الذي يشبه وجه القرد اكثر من وجه الآدمي . لكن — ابن فوءاد ؟ قد ذهب الى بيروت من مدة اسبوع ولم يرجع . هل حل به سوء لا سمح الله ؟

« اختي بدي آكل » — انتفضت سليمة كورقة هزتها الريح

فلامت نفسها لانها الى تلك اللحظة لم تفكر سوى بامر سعادتها . ومن هي وما هي سعادتها ازاء الموت الذي يحصد الناس من حولها كل صباح وكل مساء ؟

هل نسيت اباهها ؟ هل نسيت امها المفلوجة المطروحة في الزاوية كجثة لا اثر فيها للحياة سوى الدموع التي تسيل من عينيها الجامدتين ؟ وان نسيت امها فكيف تقدر ان تنسى اخاها واختها . فوءاد ربما لا يرجع في اسبوع او اسبوعين . والجوع لا يرحم ولا يصبر . عنها في امير كالم يجبها الى الان على كتاب ارسلته له من نصف سنة تطلب فيه معونة مالية . فمن اين الفرج ؟ السحتوتي يقدر ان يأتيها بالفرج — لكنه يطلب المستحيل . لماذا يعطي الله خيراته لرجل كالسحتوتي ويمنعها عن المعوزين والايتام ؟ لماذا لا يوجد الاغنياء بشيء من اموالهم على الفقراء في مثل هذه الايام ؟ هل تحولت قلوب الناس الى حجارة ؟ في اميركا الوف من اللبنانيين — فلماذا لا يفكرون بمن تغلف منهم في لبنان ؟ ريال واحد يدرأ الجوع عن اخيها اسبوعاً ، وربما شهراً — أفليس من وجود بهذا الريال ؟ السحتوتي قادر — لكنه يطلب هتك عرضها . وما هو عرضها — هل هو اثمن من حياة اخيها ؟ هل طهارتها اثمن من حياتها ؟ هي مستعدة ان تضحي حياتها لاجل اخيها — فلماذا لا تضحي عرضها وحياتها معاً . تخاف الفضيحة — واية فضيحة ؟ من يجسر ان يرميها بحجر اذا كانت تفعل ذلك لاجل اخيها لا لارضاء شهوات دنيئة ؟ لكن — باقة البنفسج — فوءاد — ابوها — امها — اختها — اخوها . « اختي بدي آكل »

تموجت كل هذه الافكار في رأس سليمة بلحظة واحدة فشعرت ان الارض ماتت بها ، واصابها شلل عقلي ، فجمدت افكارها وتوترت اعصاب

وجها وجحظت عيناها .

السحوتي كان ينظر الى وجهها ولا يشعر بشيء من العاصفة التي كانت تثور في صدرها ، فظن سكوتها الطويل قبولاً بشروطه وتأكد صحة ظنه لما تقل الشمعة من يده اليمنى الى اليسرى ثم رفع يده اليمنى وطوّق بها عنق سليمة فلم تبد اقل معارضة . حينئذٍ لم يبق عنده شك بان قد فاز بما كان يشتهي من زمان ، وان هذه الفتاة التي كانت تعد زينة القرية ستمسي ملكه في ساعة او اقل من ساعة . لذلك ضمها الى صدره العظمي وقال باسم ابتسامه الظافر .

— اذن قبلت زين العابدين ان تكون زوجتي — ها ؟ ما احسن زين العابدين لما ترد عقلها الى رأسها . هه — هه — سه . كان قلبي يدمى لما كنت افكر ان سيفوز بزين العابدين من لا يعرف قيمتها . ومن يعرف لها قيمة مثلي ؟ أليس حراماً ان يُسلم مستقبل حبيتي الى صلوك ، ابن زنى ، فقير ليس على جلده قميص ؟ — قال ذلك وانحنى برأسه نحو وجه سليمة قاصداً ان يقبلها فلم تشعر سليمة بنفسه المثلث على وجهها حتى جذبت نفسها فجأةً من بين ذراعيه ودفعته بعنف الى الوراء ، فكاد ان يسقط الى الارض ، لو لم يصطدم بالحائط ، وانتصبت امامه كلبوءة قدت شبلها . عيناها تقدحان شرراً . ثدياها يرتفعان ويهبطان . وكل نقطة من الدم في جسمها التحيل قد ركضت الى وجهها الذي كان قبل ذلك بلحظة اشد اصفراراً من الزعفران .

— لسانك اقصر من ان يتكلم سوءاً عن فوءاد . ألا تعرف ان فوءاداً في فقره اشرف وارفع منك في غناك ؟ كل ارزاقك واموالك لا تساوي مساراً في نعله . هو ملاك وانت شيطان . هو شهيم وانت نذل . هو حي ولو جاع وانت ميت ولو شبع . هو يموت لاجل الناس وانت تعيش بموتهم . نفه والى تفه عليك وعلى ارزاقك وأموالك وخبزك . اذا كانت الحياة لا تأتي الا عن يدك فالى سلام على الحياة والى سلام على السعادة — وما احسن الموت ! انا جئتك اطلب الحبز ليس لنفسي بل لطفل صغير تناضل روحه الموت ولم يعرف لذة الحياة بعد — لم يعرف الخير من الشر . واذا ضننت برغيف فستلقى جزءاً من يدٍ اقدر من يدي . ابتعد عني ولا تدنسي بيدك ! ابتعد عني ! ابتعد عني ! —

انطرحت سليمة الى الباب وهي لا تعي على شيء . ولما وضعت يدها على قبضة الباب لتفتحه ادركت انه كان مقفلاً وان المفتاح كان مع صاحب البيت . فوقفت هنيئة وللحال مرت امام عينيها صورة اخيها الصغير الملقى على الارض . رأتها يتنفس كأنه مع كل تنفسه يكاد ان يلفظ آخر انفاسه رأت وجهه الذابل الشفاف ، وعينيها المطبوقتين من الضعف ، ويديه المطويتين على بطنه الملتهب ، ثم سمعت صوته المتقطع يرن في اذنيها « اختي بدي آكل » فتذكرت انها تركته يبكي ووعدته انها خرجت لتأتيه بخبز . فانقبض قلبها حتى ضاقت انفاسها لما تصورت نفسها راجعة اليه يدين فارغتين . فوقفت جامدة ويدها على قبضة الباب

ثم سار بها منحنيًا فوقها الى غرفته وعيناه تضحكان
.....

مرَّ يومان

كانت شمس العصر تنحدر نحو البحر متوكئة على اشعتها الطويلة
المنتشرة في الفضاء . حر النهار انقلب الى برودة ناعمة مخدرة . جرس كنيسة
مار بطرس ، المستترة بين اشجار الصنوبر في جهة القرية الشمالية ، كان يدق
« دقة حزن » . دن - دن - دن - دن - فنسبح تموجات هذه الانات
النحاسية فوق اكواخ القرية المتشحة بالحداد ، ثم تخترق بطون الوديان
المجاورة حيث تختلط باصوات الحجال وعواء الثعالب ونقيق الضفادع
وتموت معها بين شقوق الصخور الابدية الخرساء . على الطريق المؤدية
الى الكنيسة يسير موكب صغير موءلف من كاهن محدودب مسن ، في يده
صليب ومبخرة ، يتبعه اربعة - امرأتان وشيخ وشاب - يحملون على اكتافهم
نعشًا من اغصان الحور والتوت والسنديان . في النعش جثة فتاة عليها اطمار
بالية . وجهها يدل على انها قضت وفي قلبها حقد على العالم باسره . الى جانبيها
الايمن تمددت جثة صبي صغير على وجهه ابتسامة ملائكية . ووراء حاملي
النعش كانت تتمرغ بالتراب فتاة لا يزيد سنها على الثانية عشرة . شعرها
الاسود الطويل محلول ومسترسل فوق وجهها وكنفيها . على خديها الضعيفين
امتزج الدمع بالتراب . رجالها حافيتان مقرحتان يسيل منهما الدم هنا
وهناك . هي لا تمشي ، بل تتدحرج . تنهض على ساقيها وتقفز الى فوق

السختوتي بقي واقفاً مكانه ينظر ولا يتحرك ووجهه يدل على انه لم
يتأثر من كل ما جرى على الاطلاق . ولما ايقن ان غضب سليمة هداً قليلاً
عاد وفتح فمه

— ألم اقل ان اطوار النساء عجيبه غريبة ؟ هه - هه - هه . اراك
لا تزالين متعلقة بابن العطار . فهل قرأت الجريدة الاخيرة من بيروت ؟
لا ؟ اصبري ، اذن ، قليلاً حتى اقرأها لك .
قال ذلك وذهب مطقطقا بقبضابه الى غرفته ثم عاد وفي يده جريدة
واقرب من سليمة قائلاً

— اسمعي اذن . هذا منقول عن بيروت الرسمية بتاريخ ٥ حزيران .
« في هذا الصباح انفذ حكم الاعدام شنقاً بفوءاد العطار من بلدة ع . من
لبنان بعد ان اثبتت عليه تهمة الحياة امام المجلس العرفي في عاليه اذ وجد
المجلس انه ينتمي الى جمعية تدعى « النهضة اللبنانية » التي غايتها فصل
لبنان عن الدولة وجعله امارة مستقلة . » - هذا ما جرى لجيبك فاذا تقولين
بعد ؟ لم ينه السختوتي كلماته حتى ملأت الدار صرخة هائلة خرجت
من صدر سليمة كأن رصاصة اخترقت في تلك اللحظة قلبها
— فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد ! فوءاد !

وقعت سليمة للحال مغمشية عليها . اما موسى السختوتي فلم يضطرب
ابداً كأن ما جرى امام عينيه لم يكن من الاهمية على شيء . اقترب على مهله
من سليمة المطروحة على الارض واخذها بين يديه كما يأخذ الذئب فريسته ،

ثم تهبط الى الارض كفضالة اخترقها سهم صياد . ثم تذري التراب على شعرها
 لاطمة رأسها ووجهها وصدرها وجبينها وناطقة شعرها بيديها الضئيلتين .
 صوتها قد بُحَّ من كثرة الصراخ ، فهي تصيح كأن قد اخذتها يد عدو بخناقها
 فيشابه صياحها الخارج من صدرها المتقطع فحيح افعى لا صوت بشر .
 « يا ذلي من بعدك يا سدا... ي... ي... يا تعييري ياخي... ي... ي... سي... !
 يا تعييري يا... يا اخ... تي... ! »

جرس ماربترس ينتحب . دن - دن - دن . في زاوية بيت من
 بيوت القرية المدعورة من صولة الموت عجوز مفلوجة تسكب آخر دمعة
 في عينيها وقد شعرت بيد الموت تطوق عنقها . وفي نيويورك لجنة تنادي .
 « اغيثوا اهلكم يا ابناء سوريا ولبنان » فيعود اليها نداؤها كصدى صرخة
 في وادٍ عميق .

سبحان من يعيد

